بطرس الاكبر وابنه الكسس

— ٢ —

تابع

وقد خطر للقيصر ان يبعث بالكسس الى المانيا رجاء ان يجد له فيها زوجة فاضلة من بنات الامراء وكان الدوق برنسويك من نبلاء الالمان ومن ذوي البيوتات العريقة في النسب وله ابنتان ازوج الكبرى منهما واسمها اليصابات من شارل السادس وهي ام ماريا تريزيا الشهيرة وبقيت عنده شارلوت وكانت في السادسة عشرة من سنيها ذات جمال رائع وثروة طائلة وكان الشائع انها ستقترن من شارل الثاني عشر ملك السويد الا انه لما علم ساسة الالمان برغبة القيصر بطرس من زواجها بابنه نصحوا لابيها ان يفضل ابن القيصر صهراً واما الكسس فلم يكن بالراغب في هذا الزواج باطناً ومثله كانت شارلوت لايجاسها خوفاً من الذهاب الى بلا بعيدة حيث تعيش بين امة كان يحسبها الاوروبيون يومئذٍ من احط الامم واقصاها عن العمران

ومع ذلك عقد الزواج سنة ١٧١١ لان العروسين استلما للامر اطاعة لابويهما سيما وان الفتاة كانت تعتقد اعتقاد سائر الاميرات يومئذٍ ان لا يمتثلن في الزواج اوامر القلب . عملت

بهذه القاعدة فلازمها الشقاء وصحبها البؤس وما كان زوجها ليغل بها او يوآلفها ويسليها في غربتها وانما تركها في القصر بين نوة يجهلن لغتها ولا يماثلنها في العادات والاخلاق فظلت وهو لا يحدثها بكلام الولاء والحب بل لم تسمع منه لطفاً وانساً الا يوم ذهابه الى كارلسباد للاستشفاء اذ قال لها اني ذاهب فاستودعك الله

ولم تكن ترى لها من سلوى غير التلهي بكتابة رسائل الشكوى الى امها وقد خطت في احداها ما يأتي لا ريب ان هذا العالم ملؤنا بالاحزان والاكدار وقد اعدّ لي ايام الشقاء والويل لاني منذ نعومة اظفاري لم اشعر بالراحة ولا ذقت لذتها وكلما خطر لي ذلك ارتعدت من الخوف واني لي تعزية وقد تزوجت رجلاً لا اميل اليه ولا هو يحبني على اني اخلص له الود قياماً بواجب الزوجة واعتبر القيصر واتمنى له الخير لاحسانه اليّ واما زوجته فتتظاهر بمحبتي ولكنها تبطن غير ذلك . فصبراً جميلاً

على ان الله سبحانه وتعالى اراح هذه الاميرة المنكودة الحظ من شقائها المستمر وتوفاها في اواخر شهر تشرين الاول سنة ١٩١٥ وهي اول من دفنت من اسرة رومانوف في مدفن القديسين بطرس وبولس في بطرسبورج وقد قرأنا عنها منذ امد غير بعيد حكاية طويلة ذلك انها علقت قائداً فرنساوياً ولحقت به الى لوزان

فعاشت معه فيها قريرة العين الا ان الرواية بجملتها من الاقاصيص الموضوعة غير حرية بالوثوق

اما الكسس فلم ينفعل لموتها اذ تخلص من دفاعها الادبي عن ابيه فمرح وشطح في خموله والائتمار على القيصر واعوانه وكان القيصر يزداد منه نفوراً واشمئزازاً لقبح سلوكه حتى اذا راح الكسس الى المانيا كانت الرسائل ترد لابيه تباعاً وكلها بيان لمساوئ ابنه وتذكره ان الملك من بعده اخلق برجل غريب ينهض به من ان يوصد لولي العهد فيذهب به ضياعاً ويقول البعض ان هذه الرسائل كتبت اليه من الامبراطورة كاترينا لغاية استفحال البغضاء في قلب الاب فيعدل الى ابنها الصغير ويتخذه ولياً للعهد عوض الكسس

الا ان الكسس قد اغواه الرجعيون فطلب الى الامبراطور ان يسمح له بدخول الدير والانقطاع فيه الى العبادة وانما اراد ان يظل في الدير حتى موت ابيه فيخرج منه ويبدل ثوب الرهبنة بالتاج اما القيصر فلم تنطلِ عليه الحيلة وعرف دخيلة الامر وامر ابنه وهو ذاهب الى حدود اسوج ان يلحق به الى المعسكر وضرب له موعداً لسفره ستة شهور فاذا خلت ولم يأتِ اليه اقتضى منه بالعقاب الصارم

ورحل القيصر وجعل الكسس يفكر في امره ففتق له عقله ان يفر الى البلاد الاجنبية ويمرق من سلطة ابيه فكتب يستشير الفارين الى المانيا من خلانه ومريديه فجاءه جوابهم ينصحوا له بالذهاب الى فينا وانها خير ملجأ يلوذ به تحت سلطة عديله الامبراطور شارل السادس فطابت نفس الكسس لهذه النصيحة واسرّها في صدره حتى اذا مضى موعد الستة شهور وجاه كتاب القيصر يأمره بسرعة السفر قام الى ما نشيكوف نائب الامبراطور وتظاهر له باطاعة ابيه وسأله ان يعطيه اجازة السفر ففعل النائب وقد غرّه منه ظاهر الطاعة

وكان الكسس قد علق بفتاة تسمى ايفروسين فدورفا وادخلها قصره في موسكو ولم تكن ذات جمال رائع وانما كان في جنبها ارادة قوية اسرت بها الامير الضعيف فاصبح لها اطوع من بنانها ولما عزم على السفر لم يشاء ان يتركها لوحدها فصحبها وثلاثة من الخدم ورحل بهم يقصد المانيا ومرّ في طريقه على ريجه واستقرض من الاسرائيلي اسحق مومون بضعة آلاف من الفلورين وواصل السير حتى دانتزيج ومن هناك توارى عن مرأى الروس وخفيت عنهم اخباره

فقلق مانشيكوف وطفق يفتش عليه ويبحث عنه في كل

موضع من البلاد فلم يقف له على اثر وكان بطرس الاكبر قد استبطأ قدومه فجعل يبعث بالسعاة الواحد بعد الآخر مستفهماً سائلاً ، ولما علم بهربه قام وقعد وكان عنده يومئذٍ في امستردام سفيره في النمسا ابراهيم فسلوفسكي فامره ان يذهب مفتشاً عليه ويبذل جهده في ارجاعه اليه

ولا يخفى ان اوروبا لم تكن في القرن السابع عشر متصلة ببعضها اتصالها اليوم بواسطة الطرق الحديدية والاسلاك البرقية والتلفون وغيرها سيما وان الطريق الواقعة بين المانيا والروسية لم يكن يقطعها المسافر الا بشق النفس لتشعث مسالكها وتراكم الثلوج والجليد فيها ايام الشتاء ولهذا كانت تمرّ الايام والشهور على المسافر حتى يصل الى المكان الذي يقصده

فنهض فسلوفسكي من امستردام ممتثلاً امر مولاه في التفتيش على الكسس فبلغ فرانكفور وعلم فيها ان قائداً روسياً من موسكو يسمى الكولونيل كوشانسكي اقام بها ردحاً من الزمن ثم رحل عنها بزوجته وخدمهِ ووصف له المخبر ملامح القائد الروسي المذكور فاستدل منها على ان الموصوف هو الكسس بالذات ولذلك اسرع الى بارسلو وبراغ فعلم بعد الفحص ان الكسس قام منها توّاً يقصد فينا عاصمة النمسا

مسامرات السيدات

الحب لاول نظرة

في احدى الصحف الانجليزية بضعة حوادث عن اشخاص معروفين اعترفوا بانهم وقعوا في حبائل الحب (من اول نظرة) وكانت الصحيفة قد خصصت جائزة لمن يقدم اليها اعجب الوقائع التي حدثت لهم شخصياً . . . فنشرت الحوادث الآتية وخصصت لكل منها عشرة شلنات

قالت مسز ا . م . ف . : كانت لي علاقة صداقة بشاب من سني . وقد خرجت معه للنزهة ذات يوم فلما عدنا الى البيت رأيت ابن صديق قديم لاسرتنا . فحدثت نفسي في الحال « هذا زوجي »

وقالت مسز ه . ج : كنت سائرة في الطريق فرأيت عربة تدهم كلباً صغيراً ومع ان الطريق كان به كثير من المارة فانه لم يتقدم الى الكلب سوى شاب رأيته قد اسرع لاستخراجه من بين العجلات ، ورأيت تركيب جسمه يدل على القوة والشجاعة مع جمال قوامه ، ثم رأيته يرفع الكلب من الارض ويمسحه بيديه . فعرفت انه على قوته ومتانة عضلاته . ذو قلب رحيم شفوق .